الرحلات الغيثانية

في جنوب المملكة العربية السعودية من الافادة والإمتاع إلى طرح الأفكار والتصورات

(أهم ما يكتبه المؤرخ هو ما يكتبه عن عصره) (*)

د. أحمد محمد إيشرخان

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس (الطبعة الاولى)(الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١)(الجزء الحادي والعشرون)،ص ص٣٥٤-٣٨٣.

ثانيـا : الرحـلات الغيثانيـة في جنوب المملكـة العربية السـعودية من الإفادة والإمتاع إلى طرح الأفكار والتصـورات "_أهم ما يكتبه المؤرخ هو ما يكتبه عن عصره"_بقلم الدكتور: أحمد محمد إيشرخان [١].

م	الموضوع	الصفحة
أولا	توطئة ضرورية في أهمية التفات المؤرخين لتدوين أحداث عصرهم.	٣٥٤
ثانيا	قوة في الإدراك وبعد في الوعي بتدوين المتغيرات الراهنة.	٣٥٦
ثالثا	من الافادة والإمتاع إلى طرح الأفكار والتصورات	٣٥٧
رابعا	عمران ومآثر في انطباعات ومشاعر.	٣٦٠
خامسا	مساهمة الرحلات الغيثانية في العلوم الاجتماعية.	٣٦٣
سادسا	تمثلات مؤرخ رحالة في المقارنة بين الماضي والحاضر	٣٦٦
سابعا	مؤرخ رحالة ينصح من يهمهم الأمر من أهل العصر.	٣٦٧
ثامنا	لم تكن صيحة في واد ولا نفخة في رماد.	٣٧٠
تاسعا	لقـد عُلم أن من أفضـل الأعمـال، الاشـتغال بالعلـم والتأليف على التفصيلَ والإجمال.	٣٨١

أولا : توطئة ضرورية في أهمية التفات المؤرخين لتدوين أحداث عصرهم :

يعرف الأسـاتذة المحاضـرون أن هناك بعض العبارات المتضـمنة لأحكام تصـدر عنهـم أثناء تقديم المحاضـرة لطلبة الجامعة، ولطالما أحببـت ترديد عبارة جاءت على

---

(١) الدكتـور أحمـد إيشـرخان، مغربـي الجنسـية، وهو أسـتاذ التاريـخ الحديث المشـارك في جامعة سـيدي محمـد بن عبدالله بالمغرب، حصـل على درجـة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس بالرباط (المغرب) (٢٠٠٣م)، والتحق بالوظيفة في العام نفسـه في جامعة محمد بن عبدالله بفاس. شغل العديد من الأعمال الإدارية في جامعته بالمغرب، وهو عضو في العديد من المجالس واللجان العلمية والإدارية والاجتماعية، حصل على عدد من الجوائز والشهادات في المغرب. درس ومازال يدرس الكثير من المقررات لمراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في جامعته بالمغرب، شارك في الكثير من اللقاءات، والندوات، والمؤتمرات في المغرب والمملكة العربية السـعودية، كما أشـرف ومازال يشـرف ويناقش الكثير من رسـائل الماجستير والدكتوراه. وللدكتور أحمد أكثر من سـتين عملاً أكاديمياً ومعظمها منشـورة في هيئة كتب أو مجلات علمية، أو أعمال ندوات ومؤتمرات مختلفة. ومن هذه الأعمال العلمية ما يلي: (١) دراسـة وتحقيق لمخطوط (الدر المنتخب المستحسـن في بعض مآثـر أمـير المؤمنـين مولانا الحسـن " الأجزاء (٦، ٧، ٨) عصـر السـلطان مولاي إسـماعيل لمـؤرخ الدولة العلويـة أحمد بن الحاج السـلمي. (أربعة أجزاء). (٢) العلامة المغربي القاضـي محمـد بـن إدريس العلوي. قضـايا في الفكر المعاصـر (١٣٠٥-١٣٧٠هـ/١٨٨٧-١٩٥١م) (جزءان). (٣) النخـب في تاريـخ المغرب. أعمال ندوة (مطبعـة النجاح الجديدة في الدار البيضـاء، ٢٠١٦م) (جزءان). (٤) " مصـادر ووثائـق الدولـة العلوية من خلال دورات جامعة مولاي علي الشـريف الخريفية ". منشـور ضـمن كتاب : أضـواء على تاريخ تافيـلات(الرباط : منشـورات وزارة الثقافـة، ٢٠٠٣م). وأعمال أخرى كثيرة. والدكتور أحمد إيشرخان على قدر كبير من الأدب وحسن الخلق ولطف المعشر، كما أنه أستاذ قدير ومتمكن في مجال تخصصه. (ابن جريس).

السليقة أثناء محاضرات ألقيتها في مقرر المدارس التاريخية لطلبة الدكتوراه في جامعة الملك خالد في المملكة العربية السعودية: "أهم ما يكتبه المؤرخ هو ما يكتبه عن عصره"، وهي جملة دالة وإن كانت تتضمن في طياتها مبالغة منهجية، وتخالف اتجاهات جل المدارس التاريخية وفي مقدمتها المدرسة الوضعية (الوضعانية/ Positivisme) التي حددت: "مهمة المؤرخ، أولا وأخيرا، في البحث في الماضي"، فإن المقصود منها هو تحفيز المؤرخين لتدوين أحداث عصرهم، لكون أغلب المعاصرين منهم ينغمسون في الماضي ويغوصون في أحداثه وينسون عصرهم، حتى تم نعتهم ب: "سجناء الوثائق" و"أسرى الماضي" و"مؤرخو من في القبور"، وللحقيقة فإن أغلب من احترفوا التاريخ اليوم يذهلون عن ما يعاصرونه من أحداث، وقد ينزوون في زاوية يحاورون الأموات ويتصفحون كتب التراث، وتجدهم يحلقون في سماء الماضي يستقرئون وقائعه، ويقارنون بين الروايات لأحداثه، وينتقدون معطياته، ويحققون في مجريات الأزمنة والتواريخ، حتى لأنك تجد مؤرخا ضابطا لأحداث العصر الذي حاز شهادة التخصص فيه، أكثر من ضبطه لما يجري أمامه ويشاهده بأم عينه، أو ينمى إلى علمه، فالمتخصص في التاريخ الإسلامي، يعرف عن "صدر الإسلام" أكثر مما يعرف عن "منظمة التعاون الإسلامي"، ويعرف عن "العصر العباسي الأول" أكثر مما يعرف عن "العولمة"، ويدرك تفاصيل: "تحالف هارون الرشيد مع شارلمان" ولا يحيط بقليل ولا بكثير من مسار: "الاتحاد من أجل المتوسط"، ويجول بفكره في أسواق دمشق الأموية وبغداد العباسية أكثر مما يتجول برجليه في أسواق مدينته، ويعرف مقدار صرف الدينار والدرهم والقيراط والدانق مع الأثمنة والأجور في العصر الذي تخصص فيه أكثر مما يعرف عن تقلب أسعار المواد في يومه، وصرف العملات في وقته وأوانه، فهو يعرف مثلا سعر الحبوب في العصر العباسي، ولا يلقي بالا ليعرف ثمن القمح والشعير والأرز اليوم في مدينته وباديته.

أما مشاركة المؤرخين المعاصرين في أحداث عصرهم فقد ثنى جلهم عنان الفرس عن ميدانها، وأشاحوا بكشحهم عن الخوض فيها، زهدا أو تأففا أو يأسا من فوائد الوعظ بعبر الماضي، حيث لم تنفع كل نواميس التاريخ وسنن الكون وتجارب الأمم الماضية لإقناع المشرفين على إدارة الشؤون الراهنة لتجنب تكرار الأخطاء نفسها، بناء على القاعدة المقررة في الحتمية التاريخية التي قيل فيها: "من ينسى تاريخه يعيشه مرتين"، ورغم أهمية علم التاريخ الذي قيل في حقه: "التاريخ علم يصنع المستقبل" وهي العبارة التي كان يرددها الرئيس الفرنسي، قائد تحرير فرنسا من النازية، شارل دو غول (Charles de Gaulle) ١٨٩٠ – ١٩٧٠ .

ثانيا: قوة في الإدراك وبعد في الوعي بتدوين المتغيرات الراهنة:

القارئ المتصفح لمؤلفات الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس يجدها لا تختلف عن ما كتبه مؤرخون في مجال التاريخ وأدب الرحلة، غير أن المتفحص لها يجد فيها بعدا في الوعي وحسن النظر وقوة الإدراك، الوعي بأهمية تسجيل أحداث التاريخ الراهن، وحسن النظر في مجريات الأحداث، وإدراك مرامي التغيرات في شتى مجالاتها، وهو في هذا وذاك يمزج بين الماضي والحاضر بناء على قاعدة: "من لم يعرف من أين أتى، لا يعرف إلى أين يمضي"، فالتاريخ عنده بكل بساطة هو "علم التقدم"، بما يسجله من راهنية التفكير في مجريات التحولات المختلفة، وبما يقدمه من تصورات المستقبل بناء على تجارب الماضي.

ويتجسد التاريخ الراهن عنده أكثر في سلسلة رحلاته، وهي ليست مجرد رحلات تتبع ما اعتاد عليه الرحالة من وصف مشاهداتهم في رحلاتهم بتلقائية وعفوية، إذ الأمر عنده فيه قصد إلى تدوين موسوعة شاملة تحاول ذكر نبذة من تاريخ الجنوب السعودي، والتفصيل في تاريخ المناطق التي زارها، وألقى عصا التسيار في مدنها وقراها، في مدة زمنية تطول أو تقصر بناء على بغيته من رحلته، التي ركز فيها، وفي أغلب مؤلفاته، على التاريخ المنوغرافي (Monographie)، ولعل ذلك مرتبط بإدراكه المبكر، إلى أنه لا سبيل لكتابة تاريخ وطني دون استجلاء عناصر التاريخ المحلي الخاص بجهة أو إقليم أو مدينة، وقد كانت هذه الصفة لدى مجموعة من مؤرخي المغرب في النصف الأول من القرن العشرين، الذين تبنوا فكرة كتابة تاريخ منوغرافي جهوي، على أمل تجميعه في تاريخ شامل، وهو منهج تبنته المدرسية التاريخية الفرنسية منذ القرن التاسع عشر، ولعل رواد المدرسة التاريخية الوطنية المغربية في فترة الحماية الفرنسية بالمغرب (١٩١٢-١٩٥٦) تأثروا بهذا المنهج الذي أرشدهم إليه علامة المغرب المؤلف المكثر الشيخ عبد الحي الكتاني (١٣٣٤- ١٣٨٢) الذي كانت تربطه علاقة علمية وطيدة مع جهابذة الاستشراق بالمغرب الكبير، وهذا المنهج التاريخي مبني على قاعدة البحث في موضوع خاص للوصول إلى موضوع عام، ونذكر من هؤلاء الرواد على سبيل المثال لا الحصر: العلامة الفقيه محمد داود الذي أقبل على كتابة "تاريخ تطوان" في خمسة عشر مجلدا، والمؤرخ النقيب العلامة عبد الرحمن بن زيدان صاحب موسوعة "إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس" في ثمان مجلدات، والعلامة الفقيه المؤرخ محمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري الخزرجي صاحب موسوعة "رياض البهجة في أخبار طنجة" في خمس مجلدات ضخمة، والعلامة الفقيه القاضي العباس بن ابراهيم مؤلف كتاب "الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام" في أحد عشر مجلدا، والعلامة أبو العباس أحمد الرهوني صاحب موسوعة "عمدة الراوين في تاريخ

تطاوين" في عشرة أجزاء، والعلامة المؤرخ الكبير محمد المختار السوسي صاحب الموسوعة التاريخية الكبرى في تاريخ الجنوب المغربي المعنونة ب "المعسول" في عشرين جزءا. وكل هؤلاء المغاربة الأعلام أدركوا صعوبة كتابة التاريخ العام للدولة المغربية قبل التوفر على التاريخ المنوغرافي الجهوي، وقد دونوا ما استطاعوا تدوينه من تاريخ وأخبار ورواية شفهية وعلوم شرعية وأدبية، بل حرصوا على تدوين كل مشاهداتهم وانطباعاتهم مهما بلغ ما نقلوه من سلبيات وإيجابيات وحقائق واقعية، وأخرى فيها حكايات شعبية وأساطير موروثة، وتمثلوا بقول القائل: "قلم المؤرخ كعدسة المصور" تلتقط كل شيء، وهم يعولون على من يأتي بعدهم لنقد ما كتبوه وغربلة ما دونوه، وفي هذا الصدد يقول العلامة المؤرخ الموسوعي محمد المختار السوسي، وهو من أشهر علماء المغرب الذين أجد فيهم شبها ونظيرا للأستاذ الدكتور غيثان بن جريس" وأنا لا أزعم في هذا الكتاب (المعسول) إلا أنه مجموعة مهيأة لمن يستقي منها غدا ما يريد، ولذلك أحرص على ذكر العادات وطرائف الأخبار، والنكات الأدبية، والقوافي..."، إلى جانب التاريخ والجغرافية والحياة الاجتماعية والفولكلور والأهازيج الشعبية والقصص والأساطير والمرويات والمرددات والرواية الشفهية. وقد صدق حدسه حيث أصبح كتاب "المعسول" مرجعًا قيمًا للباحثين من كافة التخصصات التاريخية بصورة خاصة، ولعلماء الآثار والجغرافيا ولمعظم أقسام العلوم الإنسانية والمشارب الفكرية بصفة عامة.

ثالثا: من الافادة والإمتاع إلى طرح الأفكار والتصورات:

إذا كان أغلب الرحالة يقصدون في تدوين رحلاتهم إلى الإفادة والإمتاع، التي يفصلون في ذكر مجريات أحداثها تحت إلحاح الذاكرة أو تحت الطلب، بقصد ذكر وتذكر ما هدفوا إليه من رحلتهم من الزيارة والتبرك، أو لقاء العلماء والحصول على الإجازات العلمية، أو اختراق الآفاق، مثل: ما عمد إليه عميد الرحالة العرب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٩هـ)، الذي أملى أخبار رحلته: "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" في عام (٧٥٧ هـ) على الكاتب محمد بن محمد بن جزي الكلبي، بإشارة من عاهل المغرب أبي عنان المريني، ومثل ما فعل الرحالة الفقيه الصوفي يوسف بن عابد الشريف المغربي الإدريسي الحسني (٩٦٥-١٠٤٨ هـ) الذي رحل من المغرب إلى اليمن، واستقر بها، وخلف لنا رحلة في غاية الأهمية والإمتاع في الجزء الذي عثر عليه ونشر تحت عنوان: "ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت" فقد أملى رحلته سنة (١٠٣٦هـ) على بعض تلاميذه، التي استمرت أكثر من عشرين سنة، مخافة فجأة الموت ولتبقى إعلاما لذريته ولإخوانه في الله ومن يريد الإفادة عن سبب مسيره من الأصقاع المغربية إلى الجهات اليمانية والديار الحضرمية في شهر صفر عام (٩٩١هـ)، فإن الرحالة الأستاذ الدكتور

غيثان بن جريس سـطر أهدافا محكمة، بل كانت عن سابق تخطيط وتدبر للحصول على المعلومات، فهو صاحب رحالات بخطط مسطرة وأهداف مقررة، تستهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من الإفادات العلمية والتفصيلات التاريخية، فعلى سبيل المثال لا الحصر في رحلته إلى محافظة القنفذة، كان ضمن الأهداف التي سطرها لزيارته لها رصد بعض التفصـيلات التاريخية القائمة على الرواية الشفهية والمشـاهدة والانطباع، يقول: "فقد رأينـا أن نقصـر حديثنا علـى بعض الجوانب التاريخية والحضـارية التي سـمعناها من أهالي المنطقة عن بلادهم في العقود المتأخرة الماضـية، بالإضـافة إلى ما شاهدنا وتكون لدينا من انطباع نفسه". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص.٥٧٣).

ويذكـر الأسـتاذ الدكتـور غيثـان في مقدمة الجزء الثـاني من كتـاب: "الرحلات والرحالة" أنه تحدث عن بلاد القنفذة في الأقسام السابقة من كتابه، لكنه هنا سينتقل من التدوين اعتمادا على المدونات التاريخية إلى المشاهدة بالعيان والرواية الشفهية، بل أكثر من ذلك فقد عقد العزم على "الاستكشـاف" الذي هو بحث عن الظاهر والباطن من الأشـياء، يقول: "أوضـحنا في الأقسام السابقة من هذا الكتاب أهمية بلاد القنفذة مكانيـا وزمنيا، ولهذا رأينا في هذا القسـم أن نسـهم برحلة استكشـافية لهذه الديار" (الرحـلات والرحالة، ج.٢، ص.٥٧٢) ومعنى ذلك أنه غادر المكتب إلى الميدان، وانتقل من التحقيق في حقائق النصـوص إلى النظر في واقع الحال، ومن القراءة إلى السـماع والمشاهدة، ومن العزلة والتدبر في النصوص التاريخية إلى المخالطة والسؤال والمشاركة، لأن من معاني "استكشـف": الجولان في الأماكن المعروفة والمجهولة والقريبة والنَّائية، وتفحَّص معالمها بإمعان وتدقيق من أجل التوصل إلى معرفة أمرها والنفوذ إلى معناها، واسْـتَجْلاء حقائقها، واسـتطلاع شؤونها، واسـتعراض نتائج البحث والتقصي فيما تم اسْـتنتاجه مـن نتائـج التنقيب في أغوارهـا، وكل هـذه الأفعال حقق معانيهـا، بجدارة واسـتحقاق، المؤلف الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس، الذي تمرس في تحاليل وتراكيب مجموعة من مناهج مدارس العلوم الإنسـانية، فجمع بين دراية المؤرخ، وإبداع الراوية، وتمحيص المحقـق، وجرح وتعديـل الفقيه المحـدث، وتشـخيص الأنثروبولوجي، ودقة ملاحظة الاثنوجرافي، وكمال إتقان وصف الرحالة الجغرافي.

وقد كان بارعا في تدوين الرواية الشفهية، وما تختزله الذاكرة الفردية والجماعية، معتمـدا على منهج التحـري والمقارنة بين الروايـات، وأغنى ذلك بسـماعاته ومروياته ومشـاهداته وانطباعاته، وهو الأسـتاذ الأكاديمي، الذي ظل مرتبطا بتهامة والسـراة، ومحافظـة القنفـذة، ونجران، وسـراة عبيـدة، والمجـاردة، ومنطقة جـازان، والباحة (غامد وزهران)، ورنية، وتربة ومحافظة بلقرن، وظهران الجنوب، وبارق عسير، وقلوة زهـران، وبلـغ إلى نهاية بلاد السـراوت من الشـمال حيث محافظـة الطائف، وغيرها

من المدن والقرى والبوادي التي دون حولها مشاهدات وانطباعات ولطائف وقطائف، واستحضر ما تختزنه ذاكرته الشخصية لما يزيد عن نصف قرن، فكان شاهدا على عصره، وعلى التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية والبيئة التي عرفتها المنطقة منذ مطلع القرن الخامس عشر الهجري، حيث استعمل عبارة مثل: "سمعت عنها"، و"رأيتها"، و"زرناها" و"اجتزناها"، و"سمعناها من أهالي المنطقة"، و"شاهدنا بعض المعالم الجغرافية القديمة والحديثة" وعبارات أخرى تدل على الاستفادة من المقابلات الفردية والجماعية، من مثل: "وقابلت بعض المشرفين" و"أفادني ببعض المعلومات القيمة عن هذه المنطقة"، و"قرأنا وسمعنا"، و"حدثني بعض أهالي"، و"يحدثنا الأوائل"، مما يدل على حرصه الكبير على تدوين الرواية الشفهية.

وليكون شاهدا على عصره يتحدث عن مشاهداته في بلاد السراة خلال أربعة عقود الممتدة ما بين (١٣٩٠-١٤٣٠هـ)، كما يتحدث عن النمو والتطور الذي مرت به جميع مناطق المملكة العربية السعودية خلال الخمسة عقود الممتدة ما بين (١٣٩٠-١٤٣١هـ/ ١٩٧٠-٢٠١٠م). (الرحالات والرحالة ج.٢، ص.٥٨٠).

وغيرها كثير مما هو مثبت في ثنايا رحلاته التي اعتمد فيها إلى جانب ما ذكر، مناهج مختلفة ومصادر متنوعة، فهو تارة يعتمد مصادر خاصة مفردة مثل ما يوضح الجدول التالي:

الوثائق	مشاهدات رحالة سابقين	السماع	الرؤيا الشخصية

وهو مرة يجمع بينها فنجده يعتمد:

السماع والمشاهدة	القراءة والمشاهدة	المصادر والوثائق والمشاهدات	المشاهدات معززة باعتماد الكتب والوثائق والبحوث

وكمثال على ما ذكرناه في الجدول فقد استعمل السماع والرؤيا في جوانب من رحلته إلى محافظة القنفذة، وارتكز على الرحلة المجردة العفوية في رحلته إلى نواح من عسير (سراة عبيدة، المجاردة)، وعول على السماع والرؤيا في تدوين رحلته إلى منطقة جازان، وارتكن إلى السماع والمشاهدة في رحلته إلى منطقة الباحة (غامد وزهران)، أما القراءة والمشاهدة فقد رجح كفتهما في رحلته إلى محافظة بلقرن، واستخدم المصادر والوثائق والمشاهدات في رحلته إلى ظهران الجنوب، والسماع والرؤيا في رحلته إلى الطائف. وبذلك تجاوز المؤلف التقليد المعروف والمتداول في أدب الرحلة، ولم يقلد الرحالة السابقين بذكر أوصاف ما شاهدوه في طريقهم ارتباطا بمسار الرحلة التي كانت تتحكم فيها المحطات المتتالية ومسالك الجغرافية، بل اعتمد المنهج البنيوي باستخدامه

وحـدة الموضـوع، فما هـو تاريخي يدونه إلى جانـب التاريخ، وما هـو في جانب العمران يدونه في محور العمران، وقل الشـيء نفسـه في العادات والتقاليد واللباس والزينة، وقد وضـح جانبـا مـن منهجه في قوله: "لم نسـر على منـوال الرحالين الأوائل في شـرح ما شـاهدنا عن كل منطقـة في حيز واحد....أما المدرسـة التي سـلكناها فهي ترتكز على وحدة الموضوع في عموم المنطقة الجازانية، فالحديث مثلا عن الجانب الجغرافي سوف يجمع في مكان واحد، وهكذا نسير على نفس المنهج في بقية محاور البحث" (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٦٣٢).

وهو في كل ذلك يتمنى أن يأتي اليوم الذي يتمكن فيه من جمع انطباعاته ومشاهداته لما عاصره من تغيرات بمنطقة الجنوب في سفر مستقل، حيث قال: "وبما أنني من أبناء جنوبي السـعودية، ومن منطقة عسـير تحديدا، وقضـيت معظم حياتي في هذه الديار، ولي انطباعات ومشـاهدات على ما عاصـرناه، وآمل أن يأتي اليوم الذي نجمع وننشـر فيه هذه الخبرات والمشاهدات في سفر مستقل. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص.٦١٢).

رابعا: عمران ومآثر في انطباعات ومشاعر:

أولى الأسـتاذ الدكتور غيثان بن جريس عناية كبير للمآثر التاريخية، فهو لا يترك فرصـة تمر دون أن يذكر ما رآه من بقايا عمرانية وبنايات تاريخية، ويحس القارئ أنه يرويها بنوع من الأسـى والأسف على ضياعها وإهمالها، فإذا كانت لديه معلومات حول الأثر يسـرده بغير تكلف، وإذا كانت رواية شـفهية يذكرها، وللزيـادة في الإفادة حولها يحيل على مصـادر تاريخية تغني الباحث في الدراسة حولها، فتمتزج عنده الانطباعات بالمشـاعر، وتختلط التصورات بالتوصيات، مما يجعل الرحلة عنده ليست مجرد إخبار عن مشـاهدات وتصوير الوقائع بل تنبئ عن "وعي ثقافي" و"هم معرفي" تم تبليغه إلى من يهمهم الأمر من أجل تدارك ما ينبغي تداركه للحفاظ على مآثر تخلد حضـارة أمة جمعت المجد من أطرفه، ودونت التاريخ بطارفه وتالده.

ففـي جولته بمركز البرك التي قـال عن مدينتها: "إنها ذات تاريخ مشـرق وحافل بالأحداث التاريخية والحضـارية" أشـار إلى سورها الأثري والقلعة المتصلة به ثم قال: "ولقد اندثرت هذه المعالم ولم يعد يرى إلا أثرها" وأحال في الهامش إلى أن هذا السور يعود إلى العصور الإسلامية الوسيطة. (الرحلات والرحالة، ج. ٢، ص. ٥٧٤) ثم عرج على ذكر الحصـن الأثري في ذهبان عند مصب الوادي، وغير ذلك من التفاصيل التي توثق للمعالم الأثرية وتصف حالتها المادية الراهنة.

وفي رحلتـه القصـيرة التـي دامـت لخمس سـاعات فقـط مـن يـوم الجمعـة (١٤١٣/٠٩/١٢هـ)، مـا بين أبها والمجاردة وخاط سـجل كثيرا مـن مظاهر التغيرات الاجتماعية، كما دون مجموع ملاحظاته عن العمران وعن المآثر التاريخية خصوصا في

جانب الحصون العسكرية التي تسلل الخراب إلى مرافقها، وقد جاء في إحدى نصوصه الواصفة لمشاهداته وهو في الطريق إلى المنطقة المذكورة قوله: "كما لاحظنا العديد من الحصون التي تتراوح ارتفاعاتها من (١٠ إلى ٢٠ أو ٢٥ متر)، ويوجد البعض منها على رؤوس الجبال والهضاب والبعض الآخر في الأودية، كما أن بعضها على شكل أسطواني وأخرى على هيئة مرتفعات ومستطيلات، ولكنها جميعا ظهرت عليها علامات الانهيار والخراب، وجميعها مبنية من الأحجار، وفي بعض الأحيان أجزاؤها السفلية مبنية من الحجر، ثم تستكمل بالطين، وبعض الحصون كان الهدف من بنائها هو استخدامها في الحروب خلال القرون السابقة". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٦٢٠).

ويظهر أن المؤرخ الرحالة الأستاذ الدكتور غيثان لم يكن راضيا عن الطريقة التي تحاط بها المراكز الحضرية القديمة، وقد عبر عن ذلك في مناسبات عديدة، ولو أسعفنا الوقت وتتبعنا كل ما أورده من نصوص في هذا المجال لتمكنا من رصد جميع المواقع الأثرية ورسمنا خريطة فيها معطيات للمراكز التي مازالت تحتاج إلى اليوم تدخلا عاجلا من أجل حماية التراث العمراني، وهذا نموذج من تنبيهاته: "لا تخلو المنطقة من آثار ونقوش وتراث عمراني قديم، وقد شاهدت منطقة أثرية ما بين قريتي الكواملة والريان في وادي جازان وتبلغ مساحتها تقريبا (١×١كيلو)، وهي محاطة بسياج رديء جدا، ويظهر بها العديد من الآثار والمواد المعدنية والفخارية المتنوعة، مما يؤكد أنها كانت مركزا حضريا قديما". (الرحلات والرحالة، ج. ٢.ص. ٦٤٤، هـ.٤).

وفي نص بالغ الدقة في الرصد والوصف يحدثنا عن الأبنية المهدمة بل اندثار معالم أثرية حيث قال: "وفي جولتنا في صبيا، وأبو عريش، وصامطة، وبعض الأجزاء الجبلية شاهدنا بعض الحصون والقصور والأبنية الأثرية المهدمة، ففي صبيا وقفنا على بعض قصور الإدريسي، وقصور باصهي وسط المدينة، وبعض الحصون في جبال بني مالك وفيفا، وقصور حمود أبو مسمار في أبو عريش، وبعض القلاع في مدينة جازان، والحصن الأثري في صامطة، وجميعها اندثرت ولم يبق منها إلا أجزاء بسيطة". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٦٤٤).

لا نستطيع تتبع كل مشاهدات المؤلف وانطباعاته حول العمران والسكان وما يرتبط بهما من تحولات اجتماعية فهي كثيرة ومتنوعة، فهو لا يترك فرصة تمر دون تسجيل شهادة عن عصره في هذا المجال، ونذكر هنا على سبيل المثال ما قاله حول كثرة العمالة الوافدة في بلاد العرضيتان: "والذي نشاهده اليوم أن أهل البلاد الرئيسيين لازالوا في أوطانهم، التي سكنوها منذ أزمنة قديمة، ولكن اللافت للنظر هو كثرة العمالة الوافدة، العمالة في جميع القطاعات بالمنطقة، ونلاحظ أن الهنود والبنغاليين يأتون على رأس القائمة، فهم يعيشون في هذه الناحية بنسبة كبيرة". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٧٧).

وفي عمـارة بلاد القنفذة يقـول: "وتعددت المدن والقرى الكبيرة والصـغيرة، وتوفر الخير في أيدي الناس، لكنهم افتقدوا تلك الحياة الهادئة الجميلة التي كانوا يعيشونها في قراهم ومضاربهم مع قلة ذات اليد وضعف حياتهم الاقتصادية، وقد شاهدنا وسمعنا عن العديد من النماذج العمرانية القديمة والحديثة". (الرحلات والرحالة، ج.٢،ص.٥٧٨). ومـن دقة ملاحظاته أنه يدرك بعين المعمـاري الخبير مدى تطور العمارة ومدى موافقتها لحالة الطقس خلال مدار السنة التي تختلف في الحرارة والبرودة والرطوبة حسب توالي فصـول السـنة، فقد تحدث عن المنـازل ذات الأبـواب المفتوحة، كما تحـدث عن المنازل المغلقة، وفصل في المرافق التي تحتويها الدور وأحال على أسمائها التاريخية، وربط تطور العمران بالتحـولات الاجتماعية، فمارس من خلال ذلك جوانب من مهنة عالم العمران، بالمفهوم الخلدوني، حيث نجده يتحدث عن القضايا المتمايزة في الطبائع والأحوال ويشير إلى مادتها ودلالاتها وعلاقاتها الجدلية سواء كانت إيجابية أم سلبية.

فمن القضـايا الإيجابية ذكر مثـلا: التمدّن، وتطور العمـارة، والتنمية العمرانية، والنهضـة العمرانية الهائلة، والعمائر الكبيرة، والمشـاريع العمرانية الناشـئة، وتحسن أحـوال الناس المادية، وتطور الصـنائع، وتعميم الخدمات الإدارية، ومد شـبكة الطرق البرية الهائلة، وإنشـاء مدن وقرى عمرانية حديثة، وإقامة مشـاريع تجارية كبيرة، إلى غير ذلك من المفاهيم التي تدل على ازدهار الحضارة وانتشار العمران.

وفي مقابـل ذلك يـورد الرحالة المؤلف غيثـان مجموعة من الجمل والمصـطلحات الدالـة على السـلبية وخـراب العمارة وتراجع الحضـارة، مثل: عدم التسـاوي في نمط وتطـور العمارة في بلاد الجنوب السـعودي، وعن العمران البسـيط والبدائي، وتخريب العمارة القديمة، والقضـاء علـى النماذج العمرانية المبنية من الحجر، وضـياع الآثار، وفقدان الحياة الهادئة والجميلة، وضـعف الحياة الاقتصـادية، وكثرة العمالة الوافدة، وكسل الشـباب وامتناعهم من العمل في القطاعات الخاصة كالتجارة والحرف، وتحول التركيبـة السـكانية، وبقاء قـرى وديار على حالهـا القديم حيث لم تبلـغ أي مجال من مجـالات التنمية، وهجرة السـكان لمزارعهـم، وتقاعس الناس عن ممارسـة الزراعة، وتحول الأراضـي الخصـبة إلى أراض مهجـورة ومطمورة، وتباعد الناس بعضـهم عن بعض، والنزعة إلى الاسـتقلالية عن الجماعة، والانقطاع والجفوة مع الأهل والعشيرة، والصـراع من أجل حطام الدنيا، وكثرة البغضـاء والشـحناء، والإسـاءة إلى الطبيعة، وتحول الأراضـي الخضـراء إلى جرداء، والجبال والأودية التي أصـبحت خالية من كل خضـرة، والتصحر، وتهالك الغطاء النباتي الطبيعي، وازدياد التلوث البيئي، وانقراض بعض الحيوانات البرية ومجموعة من أنواع الطيور النادرة، بل لم تبق أي ممارسة لمهن وحرف كانت سـبب عيش مجموع من الناس، مثل: المهن المرتبطة بالصـيد والالتقاط،

فقد انقرضت مهنة القنص البري بعد أن قضي على كثير من الحيوانات، وضمنها الوعل والغزلان التي كانت تستوطن ديار العرضيتين من بلاد القنفذة. وغير ذلك من عبارات وفقرات ذات حمولة في الجوانب السلبية التي تستحق أن تكون مواضيع بحثية مستقلة في تاريخ علم العمران بالمفهوم الخلدوني في الجنوب السعودي.

خامسا: مساهمة الرحلات الغيثانية في العلوم الاجتماعية:

وأقصد هنا بالذات مجالين اجتماعين مهمين، وهما: الأثنوجرافيا والسوسيوغرافيا، التي ساهم فيهما الرحالة العرب مساهمة فعالة قبل اهتمام أوروبا بمجال العلوم، فالحضارة الإسلامية كان لها قصب السبق في إثراء حقول معرفية متعددة في الحضارة الإنسانية. وهو ما سبق أن نبه إليه المفكر العربي الكبير المصري الدار، المغربي الإقامة والقرار، أستاذنا الدكتور رشدي فكار-رحمه الله- في كتابه: "عن الحوار الحضاري في بعد واحد: الأثنوجرافيا والسوسيوغرافيا ولزوم التعريف في مدخلها برحالة الإسلام: عرض مع نصوص مختارة للتدليل والاستشهاد عبر فترة ممتدة منذ أكثر من ألف عام" الذي نشرته دار الآفاق في بيروت الطبعة الأولى (١٩٨٨م)، فبناء على ما ورد في هذا الكتاب يمكن اعتبار الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس ضمن فئة كبار الرحالة المعاصرين الذين يمنحون للباحثين المهتمين بمجال الدراسات الإثنوغرافيا والسوسيوغرافيا مادة علمية قابلة للدراسة والمقارنة والاستنتاج، لأنه اهتم بوصف الأرض جغرافيا وبنشاط الإنسان وعاداته وتقاليده وأعرافه في البوادي والمدن، فالكتاب مليء بالنصوص القيمة في هذين الحقلين المعرفيين، وعلى سبيل المثال لا الحصر ففي بلدة القنفذة تعرض المؤلف إلى الخريطة الجغرافية والتركيبة السكانية، مع التفصيل في مجالات بحثية قيمة تتحدث عن المكونات الاجتماعية، وعن الهجرة والاستيطان، وعن العمالة الوافدة وأثرها في المجال والسكان، وفي جانب الحياة الاجتماعية تعرض إلى العمارة وموافقتها للطبقات الاجتماعية وهي على كل حال مرتبطة بالمناخ والتضاريس، فمارس السوسيوغرافيا في أسمى تجلياتها، بل تجاوز معناها المقتصر على المنهج الوصفي الميداني والعمل التجريبي، وعززها بدراسات تحليلية لأنشطة اقتصادية فردية وجماعية، من خلال حديثه عن الجمع والالتقاط والصيد والزراعة والتجارة والحرف والصناعات المحلية، ولم ينس الحديث عن ملامح من الحياة التعليمية والثقافية، معززة بجوانب دقيقة في البحث عن ما كان وما بقي في تقاليد الأطعمة والأشربة والألبسة والزينة والعادات والتقاليد والأعراس وطقوس المآتم والأفراح والأعياد والألعاب والرياضات والفنون الشعبية، وما يصحبها من قيم وأعراف للجماعات السكانية التي حط الرحال في مضاربها خلال فترة زمنية محددة، مما يجعل كتاباته مجالا لدراسات معاصرة في مجال الإثنوغرافيا (L'ethnographie).

وفي باب الدراسات الاجتماعية سجل في ملاحظاته وانطباعاته التحول الكبير في عادات الطعام والشراب وأنواعه في منطقة القنفذة، فبعد أن فصل في عادات الناس في المأكل والمشرب علق في الختام بقوله: "ومعظم الأطعمة الآنف ذكرها اختفت أو أصبحت تمارس على نطاق ضيق"، وربط ذلك بانتشار المطاعم الحديثة حيث: "لم يعد عند القنفذيين أي اهتمام بالأطعمة الموروثة" (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٨٤) . وهذه الملاحظة تشمل أيضا جانب اللباس الذي تحدث عنه بإسهاب، وذكر أنواعه وألوانه والأسماء التي تطلق عليه مميزا بين لباس الرجال والنساء والأطفال، لكن كل ذلك اختفى منذ مطلع القرن الخامس عشر الهجري، يقول في تصوير دقيق: "وفاض الخير على الناس، وصار جميع الناس في بحبوحة من العيش، ولم نعد نسمع أو نرى الألبسة السابقة إلا في المتاحف المحلية، بل اندثر أغلبها وضاع"، هذه ملاحظة في التاريخ الاجتماعي تؤكد أن اللباس متغير بتغير الحالة الاقتصادية للمجتمعات، فهو مرتبط باقتصاد القلة واقتصاد الوفرة، وقد سبق للمختصين في تاريخ النظام الفيودالي (Féodalité /Feudalism) أن تحدثوا عن اللباس المحلي الذي تنتجه ورشات صناعية صغيرة مرتبطة بالضيعة فيما عرف بالاقتصاد المغلق(Closed Economy) في المجتمع الاقطاعي الأوربي في العصور الوسطى، المبنية على القاعدة الاقتصادية: "يستهلكون ما ينتجون، وينتجون ما يستهلكون"، ومعنى ذلك انعدام فائض الإنتاج الذي ينتج عنه التبادل التجاري الذي يؤدي إلى الرفاه المادي، مما أفضى إلى إعاقة الحياة الاقتصادية، لأن الأرض كانت هي المصدر الوحيد للثروة، وإن حققت مصانع الضيعات فائضاً في إنتاج اللباس فإنه يستهلك محلياً وهو الشيء الذي حافظ على الخصوصية في تقاليد اللباس في مقاطعات أوربا ومراكزها قبل الثورة الصناعية، ولعل في ذلك تشابه مع ما أشار إليه الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس في رحلاته، فقد نبه إلى مسار تاريخي مشابه وعوامل اقتصادية مماثلة يمكن اعتمادها في مجال التاريخ المقارن لفهم بعض العوامل التي ساهمت في الحفاظ على خصوصيات الألبسة والزينة في الجهات والمناطق التي شد الرحال إليها في الجنوب السعودي، مثل: القنفذة وجازان والباحة وفي عموم بلاد تهامة والسراة، قبل أن تحل محلها ألبسة عالمية مستوردة، فكان انعكاسها واضحا في اختفاء حرف ومهن صناعة اللباس المرتبطة بهذا المجال. (الرحلات والرحالة، ج.٢ ص. ٥٨٧، ٥٩٦، ٦٧٠، ٧٣٧، ٧٢٨).

ولعل المؤلف كان يقارب أيضا في جانب مما خط بقلمه حول المظاهر الاجتماعية المتغيرة بفضل تدخل الدولة ودعمها لتحسين أوضاع الناس المادية والاقتصادية، بعض المفاهيم التي وردت عند عالم الاجتماع الشهير ماكس فيبر (Max Weber) رائد (السوسيولوجيا) في ألمانيا في مطلع القرن العشرين، الذي ربط بين مظاهر اجتماعية

وتطور الاقتصاد وسيادة الدولة في كتابه الموسوعة "الاقتصاد والمجتمع". وعلاوة على ذلك فإن الأستاذ الدكتور غيثان يرصد تحولات اجتماعية مرتبطة بالتحول الاقتصادي فيما يعرف بالرفاه المادي وأزمة الأخلاق، حيث قال: "واليوم أصبحت كثير من عادات الأوائل مهملة منسية، وانغمس عموم الناس في عادات وتقاليد أخرى جديدة تختلف عما عاشه آباؤهم وأجدادهم، والفارق الجوهري في توفر الخير والرزق عند عموم الناس، لكن كثرت الصعوبات والمتاعب الجسدية والنفسية والأخلاقية، بل تلك الأيام الحلوة القديمة حلت محلها أيام صعبة قاسية، فازدادت الفرقة والقطيعة بين الناس، واشتد الحرص والصراع على حطام الدنيا، وضاع التعاون والاحترام المحكوم بإطار الأخوة في الله، وصارت المصلحة هي المحرك الرئيسي لتعايش الناس وتقاربهم، وانتهى الأمر إلى فوارق كثيرة بين حياة الناس في الماضي والحاضر"، (الرحلات والرحالة، ج. ٢، ص. ٥٨٨)، هذه الملاحظة نفسها سيسجلها في انطباعاته عن رحلته في نواحي عسير حيث لاحظ: "انصراف الناس بشكل عام إلى التباهي بملذات الدنيا وزخرفها، وهذا مما جعل وتيرة الوئام والحب السائدين عند الأوائل يضعف، بل بدأ يتلاشى، وازدادت الفتن والشحناء والعداوات بين الناس، وغالبا ما تكون بين الأقارب والأرحام، ولم يزد تحسن أوضاع الناس المادية والاقتصادية إلا نفرة فيما بينهم، وهذه أمور نلمسها عند كثير من المجتمعات التي شاهدناها في معظم الأجزاء الجنوبية من المملكة العربية السعودية" (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٦٢٦).

فهل هذه الصور من المواقف الاجتماعية الخامدة وما ترتب عنها من المؤثرات السلبية في القيم والأعراف يمكن اعتبارها بداية لظهور المجتمع المادي الفرداني ونهاية المجتمع التكافلي الجماعي؟ سؤال جوهري يستحق الدراسة والتحليل في أبحاث التاريخ الاجتماعي.

وإلى جانب ذلك يسجل المؤلف اختلاف الطبائع بين سكان الساحل وسكان الجبال، ففي الوقت الذي تميز فيه سكان الساحل بالبساطة والسهولة تميز أهل الجبال بالانفعال والتأهب، وربط ذلك بالمناخ وطبيعة التضاريس، وهي الملاحظات نفسها التي ذكرها ابن خلدون، عندما تحدث عن أثر المناخ في طبيعة الانسان، ومن باب التذكير لا غير نذكر أن مجموعة من كبار المفكرين الغربيين ذهبوا إلى أن المناخ وتأثيراته الجغرافية لها وقع كبير في تحديد طبائع الشعوب وسلوكها النفسي والاجتماعي، ويمكن تعميق البحث في هذا الجانب بالرجوع إلى سلسلة من مشاهير العلماء والفلاسفة الذين رأوا ضرورة الاهتمام بهذا الجانب، أمثال: أرسطو طاليس، وجان بودان، وشارل مونتسكيو وغيرهم ممن أكدوا على الروابط الوثيقة بين المناخ والجغرافيا والطبائع البشرية، وهو ما يؤكده الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس في انطباعاته والنتائج التي سجلها في نهاية رحلته من أبها إلى سراة عبيدة والمجاردة وخاط بنواحي عسير، والتي اعتبرها أنموذجا مصغرا

مـن بـلاد تهامة والسـراة الواقعة بين مكة المكرمـة ونجران، حيث يتجلى بوضـوح أثر الجغرافيـا في المناخ، وأثر المناخ في الناس، يقول المؤلـف الرحالة ابن جريس: "التباين الواضـح في جغرافية الجزء السـروي عن الجزء التهامي، وهذا الاختلاف أثر أيضا في المنـاخ، وألوان النـاس ولهجاتهم، والبعض من عاداتهم وتقاليدهـم وأعرافهم، ناهيك عـن الأحوال الاجتماعية والاقتصـادية فهي الأخرى لا تخلو مـن التباين". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٦٢٥).

ويسـجل المؤلـف أن هذا الاختـلاف يزداد كلمـا تعمقنا في مراحـل التاريخ ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في الفولكلور والفن، كما يمكن رصد هذه الاختلافات تاريخيا في كثـير من المجالات الاجتماعية، مثل: اللغة، واللهجات والألبسـة، وفن العمارة، وعادات الزواج، والمآتم، وغيرها. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٨٩). ومن طرائف ما سجله هـو لباس الأطفـال في نواحي القنفذة يقول: "وفي بعض نواحـي القنفذة يلبس الأطفال البرنس على الرأس، وهو شـبيه بالزي المغربي"، وبقصـد ما يعرف عندنا في اللسـان الـدارج المغربي ب "القب" بضـم القاف وسـكون الباء، وهو قطعة ثوب توضـع لتغطية الرأس موصـولة بالبرنس وبالجلباب وهي أشـهر لباس المغاربة. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٨٥)، ثم يعلق في الهامش أن هذه العادة انقرضت في عموم منطقة القنفذة، لكنهـا مازالـت تمارس عند العديد من سـكان تهامة وعسـير وقحطان، وقد اسـترعى انتباهي عند حديثه عن اللغة واللهجات المحلية وجود مصطلحات ومسميات في الجنوب السـعودي تشـبه في طريقة نطقها، وفي الأشـياء التي تسـمى بها، لهجات بعض القبائل العربيـة المغربيـة، مثل: بني هلال وبني حسـان وبني عامر وبني مالـك، وقبائل الخلط وطليق وسـفيان، ولعلنا نعود إلى بعض أوجه التشابه والاختلاف في موضوع اللهجات في القسم الثالث - إن شاء الله - من هذه المساهمات الخاصة بالرحلات الغيثانية.

سادسا: تمثلات مؤرخ رحالة في المقارنة بين الماضي والحاضر:

لا يـدع الرحالـة الأسـتاذ الدكتور غيثان بن جريس فرصـة تمـر دون أن يعتمد في سـرد الأحداث على منهج المقارنة بين ما كان في الماضـي وما يشـاهده اليوم بأم عينه، هل ذلك هو واقع الحال أم مجرد تمثل للماضـي؟ لأن الماضي دائما يبدو جميلا! فرغم قسـاوة العيش وقلة الموارد كان الناس في وئام وتلاحم وتـواد وتراحم، "أما اليوم فقد توفـرت الخيرات، وكثرت الأموال، لكن الأواصـر والروابط الاجتماعي قلت وتلاشـت، بسـب الحضـارة والتمدن في كثير من مجالات الحياة بسبب وفرة المال والخير في أيدي الناس" (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٦٤٢ و ص. ٧١٣).

وفي زيارته إلى بلاد القنفذة نبه إلى الاختلاف الكبير بين الأجيال، وحذر من تغير القيم الفاضـلة، وتشويه الهوية الأصـيلة، التي يتميز بها شعب المملكة العربية السعودية،

لنستمع إلى هذا النص الذي يعبر عن مشاعر فياضة لمؤرخ رحالة يحمل هم أمة: "اتضح لنا من خلال زيارتنا الأخيرة لمحافظة القنفذة الاختلاف الكبير جدا بين عادات وتقاليد جيل اليوم، وبين أعراف وتقاليد الأوائل من الآباء والأجداد، والذي يخشى منه اليوم أن تضيع وتختفي تماما تلك القيم والمبادئ والتقاليد القديمة الجميلة، ويحل محلها أعراف مستوردة من أقطار عديدة في العالم، وهذا مما سيعرض هوية البلاد إلى المسخ والتشويه. وما يجري في ديار القنفذة تجده سائدا في سائر البلاد السعودية، بل في جميع أنحاء البلاد العربية الإسلامية، ولذا فالمسؤولية كبيرة على جميع سكان البلاد، أفرادا، وجماعات، ومسؤولين ومؤسسات أن تبذل الجهود في المحافظة على كل أصيل وجيد من أعراف وتقاليد وموروث شعبي قيم وجميل" (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٨٩-٥٩٠).

وفي قفوله من رحلته إلى نواح من منطقة عسير، لجأ إلى منهج المقارنة بين الماضي والحاضر فسجل انطباعاته حول ما بين الأجيال من فرق في عناء العيش ورفاهيته، يقول: "ومن يسعى للتأمل ومقارنة ما كان عليه الآباء والأجداد وما نحن عليه اليوم فإنه يدرك العناء والتعب الذي عاشه الأوائل، واليسر والرفاهية التي نعيشها نحن أبناء هذا العصر". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص.٦١٥).

وإلى جانب هذه المظاهر الاجتماعية يسجل المؤلف مجموعة من الملاحظات تهم خراب العمران، وتصحر الأراضي، وانقراض الوحيش، واستنزاف الغطاء الغابوي، ولم يغفل التطرق إلى ظاهرة هجرة السكان، التي هي مشترك عالمي اليوم، فقد قال مثلا عن بلاد العرضيتان: "وتتكون جبالها من المرتفعات التهامية، التي هي أقل ضخامة وارتفاعا من جبال السروات، وكانت هذه المرتفعات مأهولة بالسكان قديما، أما اليوم فأصبحت مهجورة من أي استيطان". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص.٥٧٧)، مما يجعل رحلاته سجلا حافلا عن التغيرات الطبيعية التي كان لها ومازال أثر على الساكنة التي هاجرت إلى المدن في الجنوب السعودي، بل تحدث عن مجموعة من الأفراد والأسر اضطروا أو فضلوا هجرة بلاد الجنوب واستوطنوا في مناطق أخرى من جهات المملكة الواسعة الأرجاء، وأشار إلى بعض من هاجر خارجها.

سابعا: مؤرخ رحالة ينصح من يهمهم الأمر من أهل العصر:

في كثير من صفحات الكتاب وفي خاتمة كل رحلة لا يتوانى الرحالة المؤرخ الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس من تقديم النصح والإرشاد والتبليغ من أجل الحفاظ على تراث المملكة وصونه من الضياع، وقد أظهر مواقف نبيلة في دعوته من يهمهم الأمر في جميع المناطق التي زارها إلى الحفاظ على مكتسبات الماضي في التراث المادي واللامادي، وهو في هذه المواقف يذكرني بما قاله الكاتب والمؤرخ الفرنسي الشهير

إرنست رينان (Ernest Renan) (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) للمسؤولين عن حماية التراث: "إن رجال التقدم بأتم معنى الكلمة، هم أولئك الذين يجلون الماضي كثيرا".

ففي كتاب الرحالات والرحالة نقف على العديد من دعوات المؤرخ الأستاذ الدكتور غيثان ونصحه للمؤسسات المعنية للحفاظ على ما تبقى من الآثار العمرانية، مثل: الآبار الهلالية القديمة، والقلاع والحصون، والطرق القديمة والمقابر في البرك وفي بلدتي القنفذة والقوز، وغيرها ففي ديار العرضيتين، قال: "وللأسف من يقرأ عن هذه البلاد في القرون الماضية المتأخرة، يجدها كانت مليئة بهذه النماذج العمرانية المبنية من الحجر، ولكن يد الانسان امتدت إليها فخربتها، وقضت عليها، ونرجو من المؤسسات المعنية بهذه الآثار أن تحافظ على ما بقي، مع ندرته فتقوم على صيانته وحفظه من الضياع" (الرحلات والرحالة،ج.٢، ص. ٥٧٨).

وفي باب الاستفادة من المعالم الأثرية في المجال السياحي في سراة عبيدة وفي المجاردة وفي خاط، يقول: "لا تخلو هذه البلاد من المواطن الأثرية، بل إن عموم بلاد عسير، ونجران والباحة وجازان غنية بآثارها ونقوشها ورسومها الصخرية، بالإضافة إلى الأماكن الأثرية الأخرى، مثل القرى وأماكن التعدين وغيرها تستحق المحافظة عليها، والاستفادة منها في مجال السياحة، والدراسة والبحث والتنقيب عن تاريخها" (الرحلات والرحالة ج.٢، ص. ٦٢٥)

ولم يكتف المؤرخ الرحالة ابن جريس بالدعوة إلى الحفاظ على المآثر العمرانية بل امتد حديثه إلى التغذية والحفاظ على الصحة العامة، حيث انتقد الفوضى التي عمت حياة الناس في هذا المجال نتيجة التمدن، ولم يفته التنبيه إلى خطورة الأواني التي يطهى فيها الأكل ويقدم، حيث استبدلت الأواني القديمة الحديدية والفخارية والخشبية بالأواني الحديدية الحديثة والبلاستيكية المضرة بالصحة، ومن تم يدعو إلى ضرورة الدراسة والمقارنة بين ما كان في الماضي وما هو راهن في مجال التغذية من خلال تخصصين مختلفين التاريخ والطب: يقول: "حبذا لو تتضافر جهود المؤرخين والأطباء في دراسة ومقارنة أدوات الطعام والشراب، مع الحرص على إبراز السلبيات والإيجابيات التاريخية والطبية"، (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٨٥).

وفي باب التوصيات من أجل الحفاظ على الخصوصية لمجتمع المملكة العربية السعودية القائم على القيم العربية الإسلامية، يدعو الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس إلى البناء وتسليح الفرد والأسرة بسلاح الفكر والثقافة الإسلامية النقية الطاهرة، بل يدعو إلى اليقظة والمقاومة لكل غث دخيل غير مفيد، ويختم ذلك بإطلاق عبارات التخويف والتحذير من عاقبة التراخي في مواجهة دخول كثير من التقاليد والثقافات

الدخيلة على المملكة نتيجة الانفجار الذي وقع في مجال الاتصالات. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٩٠). إن هذه التحذيرات وإن كانت ترد أحيانا في هوامش الصفحات فإنها في جوهر الموضوع بسبب ما انتشر في العالم الإسلامي من مظاهر الاستغراب والاستلاب الناتج عن "العولمة" التي تهدف إلى جعل شعوب العالم على نمط عالمي واحد يؤمن فقط بثقافة الاستهلاك، وينزوي في أنانية فردانية مفرطة ينعدم فيها روح التعاون والتآزر والعمل الجماعي الذي سجل كثير من مظاهر الرحالة العرب والأجانب، وكان الدكتور غيثان بن جريس شاهدا عليه طيلة نصف قرن، معززا بروايته للأحداث السابقة عن من التقى بهم من كبار السن ونقل عنهم أخبار الماضي القريب المليء بالتعايش والتكافل والمودة والتراحم، فأصبحت رحلاته سجلا لمظاهر قال عن بعضها إنها اختفت اليوم.

وفي باب مشاهداته للتحولات السريعة التي تشهدها المناطق الجنوبية للمملكة العربية السعودية، نجده شديد الاهتمام بدعوة المعنيين بالأمر إلى ضرورة توثيقها ودراستها والحفاظ عليها: "والواجب على الباحثين والمؤرخين والدارسين لتاريخ وحضارة البلاد، بل الواجب أيضا على مؤسسات التعليم العالي ممثلة في الكليات والجامعة، أن تولى ما تمر به البلاد من نمو وتطور كبير اهتمام فيوثق، ونشجع الباحثين والدارسين على دراسته وحفظه". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص.٥٨١)

وما فتئ المؤلف عبر صفحات هذا الكتاب يدعو إلى تأسيس المتاحف للحفاظ على الموروث الحضاري، وكل همه هو ربط الماضي بالحاضر حتى تبقى أواصر التواصل بين الأجيال، خصوصا وأن جيل اليوم لا يعرف شيئا عن الماضي التليد لأمجاد أسلافه، وضرب مثلا بمجال الصناعات التقليدية الموروثة التي اندثر معظم المهن والحرف القديمة المرتبطة بها، حيث قضت عليها سطوة العصر بتقنياته المعاصرة وصناعاته الحديثة، ولم يعد يرى منها إلا بعض الأدوات الأثرية لبعض الصناعات، يقول في إحدى توصياته المتعلقة بإنشاء متاحف الصناعات الحرفية: "وحتى نربط جيل الحاضر بالماضي فإنه يتوجب على أهل البلاد ومؤسسات التعليم، والتراث والآثار وغيرها أن تنشئ متاحف منظمة وكبيرة يجمع فيها ما عرفه الأوائل من موروثات حرفية وصناعية، كما يجب على مؤسسات التعليم العام والعالي أن تدرج ضمن مناهجها ما لتلك الحرف والصناعات من فنون ونظم وأعراف وتقاليد جميلة وسامية". (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٩٨). وهو في كل التوصيات وعبر كثير من صفحات كتاب الرحلات لم ييأس من رفع دعوات إلى الجامعات من أجل الاهتمام بالبحث والدراسة والتنقيب الأثري.

ثامنا: لم تكن صيحة في واد ولا نفخة في رماد:

وأقصد هنا بالذات مبادرته الطيبة المفيدة، والنافعة المباركة، باقتراح موضوعات للبحث والدراسة التي أطلقها منذ ما يربو على الثلاثين عاما، وهي الملاحظة التي ذكرتها سابقا في بحث تاريخي تحت عنوان "معالم تستوقف المتأمل في سيرة ومؤلفات المؤرخ غيثان بن علي بن جريس" (القول المكتوب. ١٨، ص. ٣٨٣- ٣٩٥)، حيث ذكرت أن من ندى أريحيته، ومميزات عطائه، هو اقتراح مواضيع على الدارسين والمهتمين داخل الجامعات وخارجها، وفتح أبواب البحث العلمي للباحثين الشباب من طلبة العلم، إلى جانب دعواته الملحة المتكررة إلى إنشاء مراكز بحثية في الجامعات السعودية من أجل البحث في التاريخ والتراث وعلم الآثار والعمران، وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية، وهذه السنة الحسنة لا توجد فقط في كتب رحلاته بل نجدها في مجموع مؤلفاته، حيث لا يترك فرصة يرى فيها بحثا جديرا بالاهتمام إلا اقترحه موضوعا للباحثين الجادين خارج الجامعة وداخلها، وعلى طلاب وطالبات الدراسات العليا في الدكتوراه وفي الماجستير، لكن الجديد في ذلك هو إشارته إلى مدى أهميتها، وإلى بعض عناصر موضوعاها ومحاورها، وإلى فائدتها البحثية ونتائجها النفعية في مجال فهم كثير من الإشكاليات الراهنة في تدبير الشؤون المحلية، وإذا كانت خزانته العلمية تحتوي على وثائق تفيد الباحثين في الموضوع المقترح ذكر ذلك، ثم يشير إلى الخزائن العلمية التي يمكن أن تفيد طلاب العلم في الموضوع المقترح داخل المملكة وخارجها.

وقد تعددت وتنوعت التخصصات التاريخية التي يأمل أن يرى الباحثين منكبين على الاشتغال عليها، فنجد ضمنها: التاريخ الاقتصادي، والتاريخ الاجتماعي، والتاريخ الديني، والتاريخ السياسي، وتضمنت مواضيع أخرى مثل الآثار والعمران، والزراعة واللباس والأعراف والتقاليد والفولكلور والأهازيج الشعبية، كما حث على جمع الروايات الشفهية وتمحيصها بالنقد والمقارنة.

وكما اقترح المواضيع على المؤرخين وعلى طلبة أقسام التاريخ في المملكة نجده يعرض مواضيع قيمة على أقسام أخرى مثل: قسم الجغرافيا، وقسم علم الاجتماع، وقسم الشريعة، وقسم اللغة العربية.

ولقد أثمرت هذه المقترحات بتسجيل ومناقشة مجموعة من البحوث العلمية التي سبق أن طرحها في محطات تاريخية مختلفة، فلم تكن دعواته واقتراحاته مجرد صيحة في واد أونفخة في رماد، بل أسفرت عن ما يحق التنويه به من باب الاعتراف لذوي الفضل بفضلهم، وإليكم (١٢٠) عنونا لمواضيع أبحاث علمية أكاديمية استنبطتها من خلال بعض رحلاته في الجنوب السعودي من الجزء الثاني من كتاب (الرحلات والرحالة، من

الصفحة ٥٦٩ إلى الصفحة ٧٣٧) ولو تتبعنا كل مؤلفاته لخرجنا منها بسفر مستقل، على أمل نشر عناوين الموضوعات المتبقية من الجزء الثاني من (الرحلات والرحالة) في البحث الثالث من سلسلة هذه الأبحاث التي خصصناها لجولات فكرية في كتاب الرحلات الغيثانية، وقد وضعتها في جدول يتضمن عناوينها، مع بعض ملاحظاته عليها، والصفحة التي وردت فيها:

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١.	الدرب والشقيق في إمارة جازان، (دراسات وبحوث علمية).	يقترحها على الباحثين وطلاب الدراسات العليا الجازانيين.	٥٧٢
٢.	تاريخ العمارة والأطعمة والأشربة في بلاد القنفذة.	يقترحه على بعض الباحثين الذين يتصدون لمثل هذه الجوانب البحثية.	٥٧٩
٣.	الألبسة والزينة قديما وحديثا في القنفذة، أو في البلدان الجنوبية من البلاد السعودية (دراسة تاريخية مقارنة).	يقترح الموضوع على طلاب وطالبات برامج الدراسات العليا في جامعة الجنوب السعودي كموضوع لدرجة الماجستير أو الدكتوراه.	٥٨٧
٤.	الحياة الاجتماعية والتقاليد والأعراف، والفنون والأدب الشعبي في منطقة القنفذة.	الموضوع مقترح على المهتمين والمؤرخين وعلماء الاجتماع وغيرهم.	٥٨٨.
٥.	الحياة الاجتماعية عند أهل الساحل وسكان الجبال والسروات: اللغة واللهجات، والألبسة، وفن العمارة، وعادات الزواج والمآثم.	مواضيع جديرة بالبحث والدراسة. في دراسة علمية أكاديمية.	٥٨٩
٦.	ألعاب التسلية والرياضة في بلاد القنفذة.	موضوع للبحث في إطار الماجستير أو الدكتوراه.	٥٨٩
٧.	الزراعة في منطقة القنفذة وطرق ممارستها في القديم والوسائل والمعوقات وأنواع المحاصيل والعوامل المساعدة للزراعة.	يقترح على طلاب أقسام التاريخ والجغرافيا.	٥٩٣
٨.	تاريخ التجارة في القنفذة خلال القرون الماضية المتأخرة.	بحث لرسالة الماجستير أو الدكتوراه.	٥٩٤
٩.	تاريخ المهن والحرف الصناعية والتقليدية في منطقة القنفذة.	يوصي بأن يدرس من قبل أحد طلاب أو طالبات الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعات السعودية.	٥٩٦
١٠.	الحياة التعليمية والثقافية في بلاد القنفذة خلال العصر الإسلامي الوسيط، أو القرون الأولى من العصر الحديث.	موضوع لرسائل الماجستير أو الدكتوراه.	٦٠٠

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١١.	تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة القنفذة	موضوع جدير بالتقصي والدراسة.	٦٠٠
١٢.	لهجات تهامة بشكل عام، أو لهجات منطقة القنفذة بشكل خاص.	مقترح على طلاب برامج الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية.	٦٠٣
١٣.	الاختلافات اللغوية في نواحي القنفذة الداخلية.	حبذا لو تدرس هذه النواحي تاريخيا وحضاريا فهي جديرة بالبحث والدراسة.	٦٠٤
١٤.	العمالة في بلاد عسير ايجابياتها وسلبياتها.	على الجامعات في جنوب المملكة أن تولي هذا الجانب كبير اهتمام في دراسة أوضاع هؤلاء الوافدين وما جلبوه من جوانب سيئة وحسنة، وما هي الحلول المناسبة لمثل هذا الجانب.	٦١٦/ ٦١٧
١٥.	تاريخ وحضارة العمارة القديمة والحديثة في بلاد عسير، أو الجنوب السعودي.	مسؤولية هذه المواضيع ملقاة على طلاب العلم والبحث وعلى المؤسسات التعليمية.	٦١٨
١٦.	تاريخ اللهجات وما جرى على اللغة العربية قديما وحديثا، وما سوف تؤول إليه مع وصول آلاف الجنسيات واللهجات في الجنوب السعودي، أو إلى عموم البلاد السعودية.	دراسة يجب القيام بها من قبل طلاب العلم والبحث.	٦١٨
١٧.	الأشجار والنباتات والأعشاب في الجنوب السعودي، دراسة تاريخية علمية طبية.	تقع مسؤولية البحث في مثل هذه المواضيع على الباحثين والمؤسسات البحثية.	٦١٨
١٨.	الحصون والقصور القديمة في بلاد تهامة والسراة، (دراسة معمارية هندسية).	على الجامعات مسؤولية كبرى في دراسة تاريخ العمارة والهندسة المعمارية والتراث المعماري القديم والحديث	٦٢٠
١٩.	اللباس والزينة في منطقة عسير.	من المواضيع الهامة التي يجب دراستها من حيث النوع، والحجم والمدلول، واللون.	٦٢٢
٢٠.	الصحوة الدينية في بلاد عسير منذ أوائل القرن ١٥هـ/ ٢١م. (سلبياتها وإيجابياتها).	يقترح الموضوع على طلاب الدراسات العليا في أقسام: التاريخ والاجتماع والعلوم الشرعية.	٦٢٣

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٢١.	مدينة جازان: دراسة لجوانبها التاريخية والحضارية والتنموية.	هي العاصمة الإدارية وهي جديرة بالدراسة.	٦٣١
٢٢.	الغطاء النباتي والثروة الحيوانية والسمكية في منطقة جازان ٠	موضوع جدير بالدراسة من قبل أصحاب التخصصات التاريخية والجغرافية والزراعية والطبية.	٦٣٣
٢٣.	الأحزمة الترابية والخرسانية في منطقة جازان تاريخها وأسباب إقامتها.	موضوع مقترح على المتخصصين في علوم الجغرافيا والزراعة والعمارة والبيئة.	٦٣٤
٢٤.	التركيبة البشرية لبلاد جازان: دراسة وتحليل وتوثيق.	نأمل أن نرى من طلابنا من يتولى مثل هذا الموضوع بالبحث الأكاديمي التحليلي.	٦٣٥
٢٥.	التسلل والمجهولين في منطقة جازان: الأسباب والأضرار والإجراءات للحد من الظاهرة.	يقترح الموضوع على جامعة جازان من أجل إنشاء مركز للبحث وقسما لعلم الاجتماع لدراسة مثل هذه الظاهرة.	٦٣٧
٢٦.	التجارة النظامية وغير النظامية بين المنطقة الجازانية واليمن.	يجب على أقسام التاريخ في جامعتي الملك خالد وجازان دراسة مثل هذه المواضيع.	٦٣٧
٢٧.	التجمعات اليمنية في بعض المحافظات الجازانية، وما يماثلها من المجتمعات الوافدة إلى المملكة العربية السعودية.	موضوع مقترح على أقسام علم الاجتماع في جامعات المملكة ٠	٦٣٨
٢٨.	حروب الحوثيين مع الحكومة اليمنية ومع الدولة السعودية.	جدير بأن تصدر عنها العديد من الدراسات وهذه مسؤولية المؤرخين السعوديين واليمنين.	٦٣٨
٢٩.	التاريخ الاجتماعي الجازاني خلال العقود الماضية المتأخرة .	موضوع جدير بالدراسة لما يتوفر عليه من وثائق والرواة وبعض الصور الفتوغرافية التي ترفد مثل هذا الموضوع.	٦٣٩
٣٠.	تاريخ الأسر الجازانية خلال القرنين (٣١- ١٤هـ/ ٩١-٢٠م).	بعض الرحالين أشاروا إلى تركيبة المجتمع الجازاني خلال القرن الرابع عشر الهجري.	٦٤٠

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٣١.	تاريخ القرى الجازانية ومجتمعاتها في القرون الثلاثة الماضية.	اقترح الموضوع على طلاب الدراسات العليا في قسمي التاريخ وعلم الاجتماع.	٦٤٠
٣٢.	المدن والقرى والبوادي في جازان: دراسة مقارنة في الجوانب الثقافية واللغوية والأعراف والتقاليد والتركيبات الاجتماعية.	للدراسات المقارنة أهمية كبرى في مجال البحث التاريخي.	٦٤١
٣٣.	التاريخ الإداري والمالي لمنطقة جازان خلال القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر. (دراسة تاريخية).	يقترح الموضوع على طلاب وطالبات الماجستير في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد.	٦٤٦
٣٤.	المساجد وعمارتها بمنطقة جازان، (دراسة تاريخية معمارية).	يقترح الموضوع على المؤرخين والمهندسين.	٦٥٠
٣٥.	تاريخ السياحة والنزهة وما يتعلق بهما من حدائق و أماكن سياحية في منطقة جازان.	موضوع جدير بالبحث والدراسة واهتمام من الناحية المعرفية.	٦٥١
٣٦.	المدرجات الزراعية في جبال منطقة جازان.	موضع مقترع على الباحثين الجامعيين.	٦٥١
٣٧.	تاريخ المقابر في جنوب البلاد السعودية، (دراسة تاريخية أثرية).	موضوع مقترح على المؤرخين والآثاريين.	٦٥٢
٣٨.	تاريخ الطعام والشراب والعمالة في منطقة جازان.	موضوع يستحق أن يكون عنوان كتاب أو بحث علمي.	٦٥٣
٣٩.	تاريخ الطعام والشراب في منطقة جازان خلال القرنين الماضيين.	موضوع مقترح على طلاب وطالبات الماجستير.	٦٥٤
٤٠.	ظاهرة التسول أسبابها وآثارها ونتائجها والحلول الممكنة.	مشكلة اجتماعية يمكن تناول الموضوع في جازان أو في عموم المملكة ومسؤولية البحث في هذا الموضوع تقع على الجامعات.	٦٥٧
٤١.	عادات وأعراف وتقاليد جنوبي المملكة العربية السعودية. (دراسة تاريخية).	موضوع جدير بالبحث والدراسة لتوافر الوثائق غير المنشورة فيه وهو مقترح على طلبة الماجستير.	٦٥٩
٤٢.	الفنون الشعبية في المنطقة الجازانية.	يقترح الموضوع على جامعة جازان ويطلب منها فتح قسم علم الاجتماع ويشير إلى أن الأستاذ محمد العقيلي ذكر شروحات جيدة في الموضوع.	٦٦٠

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٤٣.	الألعاب الشعبية والرياضية القديمة في منطقة جازان (دراسة تاريخية حضارية).	موضوع مقترح على المثقفين والمؤرخين.	٦٦٠
٤٤.	الثروة السمكية في منطقة جازان .	موضوع يستحق العديد من البحوث من قبل الأكاديميين المهتمين بعالم البحر والأسماك في جامعة جازان	٦٦٢
٤٥.	الحياة الاقتصادية في جازان خلال القرنين الماضيين.	موضوع مهم مقترح على طلاب الدراسات العليا الماجستير والدكتوراه في أقسام التاريخ في الجامعات.	٦٦٤
٤٦.	العقوم أو السدود الترابية ووسائل الري في منطقة جازان. (دراسة تاريخية جغرافية).	يقترح الموضوع على الأكاديميين في علوم الزراعة والجغرافيا والتاريخ وعلى طلاب جامعة جازان.	٧٦٦
٤٧.	تاريخ الزراعة في جازان خلال القرنين الماضيين.	موضوع مقترح على طلاب الدراسات العليا لرسالة الماجستير.	٦٦٩
٤٨.	الحياة الحرفية والصناعات التقليدية في منطقة جازان.	يقترح أن يكون موضوع كتاب أو رسالة علمية	٦٧٠
٤٩.	تاريخ التعليم في جازان .	يقترح أن يكون موضوعا بشكل عام والتعليم الفني المهني بشكل خاص، ويتناوله بالبحث والدراسة في رسالة علمية أكاديمية	٦٧١
٥٠.	الأجناس الوافدة إلى منطقة جازان أثرها وتأثرها . (دراسة اجتماعية ثقافية فكرية).	الموضوع مقترح على جامعة جازان ودعوة إلى تأسيس أقسام ومراكز ثقافية واجتماعية.	٦٧١
٥١.	التجارة في جازان خلال العقود الأربعة الماضية (١٣٨٠- ١٤٢٠)	يقترح الموضوع على المؤرخين والباحثين في جازان.	٦٧٢
٥٢.	الطرق البرية في المملكة العربية السعودية (بحث ودراسة وتوثيق علمي تاريخي).	مفتوح للباحثين المهتمين الجادين.	٦٧٣
٥٣.	الأسواق الأسبوعية في منطقة جازان، أثرها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والأدبي والفكري.	توجد مئات الوثائق في هذا الموضوع المقترح على طلاب الماجستير والدكتوراه في أقسام التاريخ بالمملكة.	٦٧٤

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٥٤.	تاريخ التجارة في منطقة جازان خلال الخمسين عاما الماضية.	يقترح الموضوع على طلاب برامج الدراسات العليا وعلى الباحثين الجادين.	٦٧٦
٥٥.	الحراك التجاري بين أهل السراة والمناطق التهامية الممتدة من الليث إلى صامطة.	موضع مقترع على طلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد.	٦٧٧
٥٦.	أوضاع المجهولين اليمنيين وآثارهم في منطقة جازان.	يقترح دراسة هذه الفئة وغيرهم وما لهم من آثار سلبية من خلال إنشاء مراكز بحوث اجتماعية في جامعات المنطقة.	٦٧٨
٥٧.	أوضاع العمالة النظامية الوافدة إلى جازان. (دراسة تاريخية اجتماعية ثقافية).	يقترح هذا البحث على أقسام علم الاجتماع والتربية والتاريخ	٦٧٨
٥٨.	التهريب بين اليمن وجنوب السعودي.	على الجامعات في المنطقة إنشاء أقسام ومراكز بحثية اجتماعية لدراسة هذا الموضوع وما يترتب عليه من مشاكل اجتماعية.	٦٧٩
٥٩.	الصادرات والواردات الحديثة بين جازان ودول شرق إفريقيا.	موضوع جيد يستحق الخدمة البحثية.	٦٧٩
٦٠.	الصادرات والواردات الحديثة بين جازان وأجزاء المملكة العربية السعودية خلال العقود الماضية المتأخرة.	جدير بالبحث والدراسة والتحليل.	٦٧٩
٦١.	الصلات التجارية بين جازان وعسير وما جاورها خلال العقود الخمسة الماضية.	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لرسالة الماجستير.	٦٧٩
٦٢.	الصلات الحضارية بين سكان السروات وتهامة خلال القرنين الماضيين.	موضوع كتاب أو رسالة علمية.	٦٨٠
٦٣.	التاريخ التجاري في جازان منذ بداية النصف الثاني في القرن ١٤هـ/ ٢٠م إلى وقتنا الحاضر.	موضوع كتاب أو رسالة علمية.	٦٨٤
٦٤.	شعر وشعراء المنطقة الجازانية منذ منتصف القرن ١٤هـ/ ٢٠م إلى وقتنا الحاضر. (حصر ودراسة).	يقترح الموضوع على أحد الباحثين الجادين.	٦٨٥

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٦٥.	تاريخ العلم والعلماء في منطقة جازان منذ القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر.	موضوع كتاب أو رسالة علمية أكاديمية.	٦٨٥
٦٦.	النشاط العلمي والدعوي والثقافي والفكري في جازان منذ بداية القرن الخامس الهجري إلى وقتنا الحاضر.	موضوع بحث جدير بالدراسة العلمية الأكاديمية.	٦٨٥
٦٧.	تاريخ التعليم في منطقة جازان (١٣٥٥-١٤٠٠هـ/ ١٩٣٥- ١٩٨٠)	موضوع رسالة دكتوراه أو كتاب علمي.	٦٨٥
٦٨.	التربية والتعليم في منطقة جازان (١٤٠٠-١٤٣٣هـ/ ١٩٨٠- ٢٠١٢م) .	موضوع رسالة ماجستير أو الدكتورة.	٦٨٥
٦٩.	تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة جازان منذ عام (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٥م) حتى عام (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)	موضوع كتاب مستقل.	٦٨٧
٧٠.	تاريخ جامعة جازان خلال السنوات الماضية (دراسة وتوثيق)	يقترح على الجامعة نفسها إنشاء مراكز بحثية تهتم بهذا الموضوع.	٦٩٠
٧١.	تاريخ نادي جازان الأدبي منذ نشأته إلى الآن.	يقترح الموضوع على أحد المؤلفين المنصفين وعلى أرباب القلم.	٦٩١
٧٢.	الفنون الأدبية في منطقة جازان: الأمثال والقصص الشعبية والحكم والألغاز (جمع ودراسة).	يقترح الموضوع على الأكاديميين بجامعة جازان.	٦٩٣
٧٣.	مشكلة القات في جازان دراسة اجتماعية ونفسية واقتصادية وإدارية والحلول الناجعة.	أقسام جامعة جازان ومراكزها العلمية.	٦٩٣
٧٤.	ظاهرة العنوسة في المملكة العربية السعودية، دراسة في العوامل والأسباب والحلول المناسبة لها.	يوصي الجامعات المحلية بإنشاء أقسام الاجتماع وخدمة المجتمع لدراسة مثل هذه الظواهر.	٦٩٦
٧٥.	قبيلة بني عمر في المخواة ومنطقة الباحة. (دراسة تاريخية وثائقية).	يقترح الموضوع على أحد أبناء البلاد ليتولاه بالبحث والدراسة.	٧٠٢
٧٦.	بلاد غامد الزناد وجنوب تهامة غامد دراسة تاريخية حضارية.	تحتاج إلى تضافر جهود المؤرخين.	٧٠٣
٧٧.	التغيرات الاجتماعية في منطقة الباحة خلال الخمسين، أو الستين سنة الماضية.	يقترح الموضوع على جامعة الباحة من خلال إنشاء مراكز بحثية.	٧٠٣

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٧٨ـ	النباتـات في غامـد وزهـران فوائدها وكيفية توظيفها لخدمة إنسان المنطقة.	يقـترح الموضـوع علـى أقسـام علـم النبات والطب في جامعة الباحة.	٧٠٤
٧٩ـ	الغابـات في منطقـة الباحـة أنـواع نباتاتها وكيفية الاستفادة منها.	موضوع جدير بالبحث والدراسة	٧٠٤
٨٠ـ	منطقـة الباحـة، دراسـة تأصـيلية توثيقية عن الأرض والسكان.	يقترح الموضـوع علـى بعض الباحثين الأكاديميين في جامعة الباحة.	٧٠٤
٨١ـ	التاريـخ الجغـرافي لبـلاد الجنـوب السعودي منذ خمسين سنة إلى اليوم.	يقترح الموضـوع علـى الجغرافيـين وعلى أقسام الجامعات المحلية بالمنطقة.	٧٠٥
٨٢ـ	تاريـخ البلاد الأزدية قبل الإسـلام وخلال القرون الإسلامية الأولى.	يقـترح الموضـوع في دراسـة علميـة أكاديمية.	٧٠٦
٨٣ـ	الصـلات التاريخيـة والحضـارية بـين غامـد وزهـران وأهـل الحجاز خـلال القـرون الإسـلامية المبكـرة والوسيطة.	يقـترح الموضـوع على طلاب أقسـام التاريخ كموضوع رسالة ماجستير.	٧٠٦
٨٤ـ	بلاد غامد وزهران من خلال الوثائق المحلية دراسة تاريخية حضارية	يقترح على طلاب الماجستير في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد.	٧٠٧
٨٥ـ	تاريـخ غامـد وزهران خـلال القرن (١٣هـ/ ١٩م).	كتاب أو رسالة علمية مستقلة.	٧٠٧
٨٦ـ	البلاد الممتدة من أبها إلى الباحة في عصر النفوذ العثماني.	يقترح الموضوع على أقسام التاريخ في المملكة	٧٠٧
٨٧ـ	تاريخ الباحة في العصـر السـعودي الحالي.	يسـتحق بحـث في مجلـدات يقترحه على جامعة الباحة من خلال إنشـاء مركـز بحـث يتـولى هـذه الحقبـة بالبحث والدراسة	٧٠٨
٨٨ـ	تاريـخ التطـور الإداري والتعليمي في منطقة الباحة خلال النصف الثاني من القرن ١٤هـ/ ٢٠م.	يقترح الموضـوع على طلبـة الدكتورة والماجستير	٧٠٨
٨٩ـ	تاريخ الحراك الاجتماعي في منطقة الباحة خلال الثمانين سنة الماضية.	جدير بالبحث العلمي الأكاديمي.	٧٠٩
٩٠ـ	صـلات أهـل السـراة بتهامة خلال الثلاثـين سـنة الماضـية، العوامـل والمقومـات في العلاقات مع ما ترتب عنها من إيجابيات وسلبيات.	يقترح الموضوع كدراسة أكاديمية.	٧١٠

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٩١.	تاريخ الهجرة داخل المملكة العربية السعودية، (دراسة في الأسباب والنتائج).	موضوع جدير بالبحث والدراسة	٧١٠
٩٢.	هجرة بعض الغامديين والزهرانيين خارج المملكة العربية السعودية.	يقترح الموضوع على طلبة الماجستير في أقسام التاريخ.	٧١٠
٩٣.	تاريخ توطين البادية في جنوبي البلاد السعودية.	موضوع جدير بالبحث والدراسة الأكاديمية الموثقة.	٧١٠
٩٤.	علاقة العمالة الوافدة بأهل منطقة الباحة الأصليين (تأثرهم وأثرهم في الحياة الاجتماعية والحضارية).	موضوع يستحق الدراسة والبحث الأكاديمي.	٧١١
٩٥.	الأسرة في منطقة الباحة (دراسة تاريخية).	موضوع بحث علمي أو رسالة أكاديمية.	٧١٢
٩٦.	التاريخ الاجتماعي لمنطقة الباحة خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م).	يقترح أن يكون الموضوع في هذا القرن أو أي قرن سابق ويستحق أن يكون موضوعا لكتاب أو رسالة جامعية.	٧١٢
٩٧.	تاريخ القرى الغامدية والزهرانية (دراسة وتوثيق وصور).	يقترح الموضوع على أحد الباحثين الجادين.	٧١٤
٩٨.	القرى القديمة والمدن والقرى الحديثة في منطقة الباحة (دراسة تاريخية عمرانية مقارنة).	يقترح الموضوع كرسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه على طلاب وطالبات قسم التاريخ بجامعة الملك خالد.	٧١٥
٩٩.	مدن منطقة الباحة الرئيسية (دراسة تاريخية).	يقترح الموضوع على جامعة الباحة من خلال إنشاء مراكز بحثية لتقوم بواجباتها البحثية.	٧١٥
١٠٠.	القصور في منطقة الباحة الرئيسية (تهامة والسراة).	يقترح إجراء دراسات أكاديمية.	٧١٦
١٠١.	العمران في جنوبي البلاد السعودية.	يقترحه كموضوع لدرجة الدكتوراه.	٧١٧
١٠٢.	تاريخ المساجد في المملكة العربية السعودية.	يقترحه على الجامعات السعودية ويجب أن يصدر في عشرات الكتب والدراسات.	٧١٨
١٠٣.	المقابر القديمة والحديثة قي منطقة الباحة (دراسة تاريخية مقارنة).	يقترحه على أحد الباحثين الجادين من بلاد الباحة	٧١٩
١٠٤.	الكهوف في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة (دراسة تاريخية)	يقترحه على أحد الباحثين الجادين ليقوم بدراسة علمية أكاديمية.	٧١٩

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٠٥.	المدرجات الزراعية في بلاد تهامة والسراة. (دراسة تاريخية).	يقترحه كموضوع ماجستير أو دكتورة في أحد أقسام التاريخ بالجامعات السعودية.	٧٢٣
١٠٦.	الأحمية وأنظمتها في جنوبي البلاد السعودية	يقترحه كموضوع لدراسة أو رسالة علمية ويشير إلى أن خزانته تحتوي على مئات من الوثائق الخاصة بهذا الموضوع	٧٢٤
١٠٧.	تاريخ العمارة الحديثة بمنطقة الباحة	يستحق أن يفرد له دراسة علمية أكاديمية.	٧٢٤
١٠٨.	تاريخ الأطعمة والأشربة في منطقة الباحة.	موضوع للماجستير في أحد أقسام التاريخ في جنوبي البلاد السعودية	٧٢٦
١٠٩.	الأطعمة والأشربة قديما وفي عصرنا الحاضر (دراسة مقارنة).	يقترحه على أقسام التاريخ في الجامعات السعودية من أجل تكليف الطلاب لدراسة مثل هذا العنوان.	٧٢٧
١١٠.	تاريخ الألبسة والزينة في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة (دراسة وتوثيق).	موضوع هام وجدير بالدراسة	٧٢٨
١١١.	تاريخ الألبسة والزينة في منطقة الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .	يقترحه كموضوع للماجستير أو الدكتوراه	٧٣١
١١٢.	منطقة الباحة ودراسة موروثها الثقافي واللغوي والشعبي.	موضوعات جديرة بالعديد من الدراسات الأكاديمية	٧٣١
١١٣.	تاريخ الأدب الشعبي القديم إيجابياته وسلبياته وما ناله من التقهقر، وتوصيات لإنقاذ ما بقي منه.	يقترحه على بعض الباحثين الجادين.	٧٣٢
١١٤.	تاريخ الألعاب الرياضية القديمة في بلاد السراة وتهامة من مدن الحجاز الرئيسية إلى جازان ونجران خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م).	موضوع يستحق أن يفرد له كتاب علمي موثق.	٧٣٢
١١٥.	أحوال بلاد السراة وتهامة سياسيا وإداريا خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠هـ).	موضوعات جديرة بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية.	٧٣٤
١١٦.	دراسة عادات وتقاليد الأعياد في الماضي والحاضر.	موضوع يستحق الاهتمام .	٧٣٥

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١١٧.	تاريخ التكافل والتعاون في جنوب البلاد السعودية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م). دراسة مقارنة.	عنوان يستحق البحث والدراسة بناء على وجود آلاف الوثائق المحلية لدى بعض الأسر السروية والتهامية.	٧٣٥
١١٨.	أعراف وتقاليد وقيم الشباب اليوم وفي الماضي (دراسة مقارنة).	يقترحه على أحد الباحثين الجادين القيام بدراسة علمية أكاديمية لهذا الموضوع.	٧٣٦
١١٩.	الأحوال الاجتماعية الحضارية بمنطقة الجنوب السعودي في الماضي والحاضر.	موضوع مقترح على طلبة الجامعة.	٧٣٦
١٢٠.	التاريخ الاجتماعي لبلاد الباحة خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م)	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية	٧٣٧

تاسعا: لقد عُلم أن من أفضل الأعمال، الاشتغال بالعلم والتأليف على التفصيل وَالإجمال:

عند قراءتنا للمؤلفات العلمية الرصينة تحرك فينا الهم المعرفي وتبدو لنا مجموعة من الأفكار والملاحظات والاستدراكات التي نتمنى لو كانت في طي الكتاب، ونتذكر ما قاله القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني وشاعت نسبتها للعماد الأصفهاني: "إني رأيت أنه ما كتب أحدهم في يومه كتابا إلا قال في غده، لو غُيّرَ هذا لكان أحسن ولو زيدَ ذاكَ لكان يستحسن، ولَو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرك ذاك لكان أجمل"، وخلال تتبعي للكتاب بدت لي بعض الأفكار التي تغني النقاش في هذا الكتاب الزاخر بالعلم النابض بالعطاء الفكري. ومن ذلك استعماله لبعض الكلمات التي شاع تداولها في اللغة العربية مثل كلمة "تتواجد" يقول: "وعلى الجزء الأخير منه تتواجد العديد من القرى والبطون" (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص.٥٧٥) والتواجد هو نوع من الجذب والشطح الصوفي، والصحيح هو توجد من وجد يجد. وإذا كان الكتاب عبارة عن تجميع لمقالات متعددة بمبادرة الأستاذ الأديب الأريب محمد بن أحمد معبر والتي تصب في حقل البحث التاريخي محوره أدب الرحلات والرحالة، فإن الكاتب المؤلف الرحالة يقع مرة بعد مرة، خصوصا في باب المقارنة بين الماضي والحاضر وفي بعض التوصيات والدعوات، في صياغة فقرات ذات طابع منبري، وأخرى ذات طابع وعظي قريب من أسلوب الفقيه الواعظ، مما يجعله في بعض الأحيان يتجاوز الأسلوب المنهجي للمؤرخين والذي تبنته معظم المدارس التاريخية الحديثة التي تفصل بين الخطاب الديني وعلم التاريخ. وإذا كان المؤلف قد تحدث بتفصيل عن مجموعة من المواضيع عن طريق تسجيل مشاهداته فإنه اكتفى بذكر بعضها دون ذكر معلومات ضافية يمكن أن تغني الباحث، ومثال ذلك عند حديثه عن جزيرة صبيا التي وصف بعض ما فيها من معالم

بينما اكتفى في جزيرة قطنة دون أن يذكر أي شـيء عنها وقال في حقها فقط: "وهناك جزيرة أخرى تسمى قطنة" ووضع إحالة تشير إلى أنه شاهدها، (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص.٥٧٦). ولعل رحالتنا عمل بالقاعدة الشـهيرة التي يعتمد عليها النحاة تجاوزا "المعـروف لا يعرف" وأرجو من الله أن تسـعفه الوقـت وتخدمه الأيام في أعمال لاحقة لاسـتدراك بعضـ ما لم نجد له تعريفا أو شـرحا وافيـا أو إفادات نحتاجهـا أثناء تتبع صفحات الكتاب.

وسـيبقي كتاب "الرحالات والرحالـة" معلمة علمية ومنارة فكرية سـامقة في تاريخ الكتابـة التاريخيـة ومحطـة فارقـة في الانتقال مـن الامتاع والإفـادة إلى طـرح الأفكار والتصـورات عبر صـفحات من محطات تاريخية راهنة مشـرقة، بل حتى هوامش المؤلف الرحالة الأسـتاذ الدكتور غيثان بن جريس مليئة بالإفادات العلمية، فهو يتحفنا مرة بعد مرة بذكر نبذة عن أهمية مناطق العبور إلى وجهته التي يقصد إليها، فهو يقول مثلا عن منطقة عقبة شـعار وهو في طريق رحلته من مدينـة أبها البهية إلى بلاد المجاردة وخاط: "من يعود إلى العديد من الوثائق والمصادر المخطوطة يجد تفصيلات تاريخية عن شعار، وما دار فيها من الحروب والمعارك بين العسيريين وبعض القوى الأخرى مثل: العثمانيين، والأشراف، والأدارسة، وغيرهم" (الرحلات والرحالة، ص.٦١٨، هامش ٣).

وإذا كنـا قد سـجلنا في اسـتهلال هـذا البحث غيـاب أغلب المؤرخـين عن تدوين أحداث عصـرهم، وإهمال تقلبات الأسـعار والمعاملات في يومهم، فإن الأستاذ الدكتور غيثان تخطى صـعاب ومتاعب هذا النوع من التاريخ الفوري في سلسلة رحلاته، وتمكن من تحويل ما يجري أمام أعين الناس إلى تاريخ يعرف في مدرسـة الحوليات الفرنسـية بالتاريخ القريب (L'histoire proche)، فعلى سـبيل المثال لا الحصر ففي رحلته التي قام بها إلى جازان استطاع تدوين بعض الأسعار، فدون أسعار الأرض السكنية والأرض الزراعية وسجل أثمنتها حسب مساحتها وموقعها (الرحلات والرحالة ج.٢، ص.٦٨٠) كمـا تحدث عن الألبسـة وأنواعها وأسـعارها ولم ينسـ أدوات الزينة للرجال والنسـاء والحلـي من الذهب والألماس (الرحلات والرحالة، ج.٢ ص. ٦٨٠ و٦٨١) كما زار بعض المطاعم وحدثنا عن الوجبات وجودتها وأنواعها وأسعارها المختلفة في الأسواق الشعبية وفي المطاعم العادية وفي الفنادق التي تتضـاعف فيها الأسـعار. فضـلا عن دعوته إلى الاهتمـام بالمآثـر العمرانية مثل قرية المنـارة الأثرية في وادي جـازان، والجامع الأثري بقرية الريان، والحصون والقلاع بمنطقة جازان، ويدعو إلى أنشاء متحف كبير يحتوي على نماذج من الموروث الأثري في المنطقة مع نماذج من المخطوطات والوثائق والعملات. (الرحلات والرحالة ج.٢، ص. ٦٩٥).

وعلى خلاف ما جرت به العادة عند معظم الباحثين الذين لا يفصحون عن مكان الوثائق التي يمكن لاستفادة منها من أجل إنجاز بحوث علمية مستقبلية، فإن الأستاذ الدكتور غيثان يشير إلى الوثائق التي تحتويها خزانته بدل العبارة التي يستعملها عادة الباحثون من كونها "في خزانة خاصة"، فهو لا يتردد في ذكر الموضوع والوثائق التي بحوزته، يقول مثلا في حديثه عن موضوع مهنة الجمع والالتقاط الذي كانت سائدة في منطقة العرضيتين ولم يعد منها شيء يذكر اليوم، والتي يمكن الاشتغال عليها في بحث علمي مستقل: "في حوزة الباحث بعض الوثائق بمهنة الجمع والالتقاط وأغلبها من نواح عديدة في عسير والقنفذة ونجران" (الرحالات والرحالة، ج.٢، ص.٣١). كما أشار إلى أن خزانته العلمية تحتوي على وثائق تهم تاريخ الأسر التي كانت تتلقى المساعدات من الدولة السعودية، ويمكن للباحث أن يستنتج منها جوانب من التاريخ الاقتصادي للمنطقة فضلا عن أنواع الطعام. كما تتضمن مكتبته العلمية مجموعة هائلة من المذكرات المفيدة في تاريخ الجنوب السعودي والتي لم تجد سبيلها إلى دور النشر رغم زخم المعلومات التي تتوفر عليها وقد أشار إلى بعضها. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ١٧).

ولم تقتصر الرحلات الغيثانية على التعريف بالأمكنة وتاريخها بل سجلت معلومات قيمة عن باحثين مرموقين التقى بهم المؤلف واستقى منهم معلوماته، كما تضمن التعريف برجال صحبوا المؤلف في رحلاته، وممن أسهموا في الحياة العلمية لمناطقهم، ومثال ذلك: الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الرحيم الهلالي الذي له اهتمام بالتاريخ والتراث المتعلق ببلده ومسقط رأسه صاحب كتاب "برك الغماد"، وهو من استضاف المؤلف وصحبه في بعض زيارته لمعالم بلاد القنفذة (الرحلات والرحالة، ج.٢،ص. ١٢)، ومثل: الأساتذة أحمد عمر محمد الفقيه، وعوض ابن حسن العمري، وإسماعيل ناصر الكناني، ومصطفى عبد الرحمن الكناني، وهم من المشرفين بمكتبة التربية والتعليم بحلي. (الرحالات والرحالة، ج.٢، ص.١٥)، وغيرهم كثير، وهو ما يجعل هذا الكتاب سجلا للتعريف بأعلام معاصرين، وديوانا للباحثين وموسوعة للواردين.

أسأل الله أن يبارك في عمر هذا العلامة الجليل، والبحاثة الكبير، حتى يفي بوعوده التي قطعها على نفسه بتأليف سلسلة من المؤلفات ذكر عناوينها ومواضيعها في ثنايا رحلاته، فقد عمل بعد ما علم، حفظه الله مهجته وبيض الرحمان وجهه، ولقد عُلم إن من أفضل الأعمال، الاشتغال بالعلم والتأليف على التفصيل والإجمال. مع أجمَل عبارات التحية وبالغ التقدير والاحترام، وموصول المودة لشخصه الكريم على التمام، في المبتدأ والختام. (١٢/ المحرم/١٤٤٢هـالموافق ٣١/أغسطس/٢٠٢٠م) [1].

---

(١) أخي العزيز الدكتور أحمد بن محمد إيشرخان، بعد قراءة هذه الدراسة التي سطرتها عن بعض أعمال محبك، أقول غفر الله لك ولي، وأسأل الله - عز وجل - أن يخلص لي ولك جميع أقوالنا وأفعالنا. واعلم أخي أنك قد أفدتني كثيرا فيما دونت، فشددت من همتي وعزيمتي لاستكمال جوانب عديدة في عموم بلاد السراة وتهامة، كما شجعتني - وفقك الله - حتى أعكف على مراجعة وترتيب ثم نشر رحلات أخرى عديدة =